

لعلم والقيم والأيدولوجية 1968، فرضية هذه المقالة هي أن هناك عدم صلة كاملة للعلم بالقيم والأيدولوجية؛ وهو موجود ليس فقط بمعنى أن العلم لا يقيم القيم، بل أيضاً بمعنى أن عالم القيم والأيدولوجية لا علاقة لها بالعلم ونقطة البداية في توضيح هذا الافتراض هي الحقيقة الحاسمة، سنستخدم عرضاً توضيحياً متطرفاً: لنفترض أن فحص هيكل الجدار الذي أمامنا من حيث قوانين الاستاتيكا، سيؤدي إلى إدراك أن السقف الذي فوقنا سوف ينهار في المستقبل. من المؤكد أن أي شخص عاقل ويعرف الاستاتيكا والميكانيكا ونظرية قوة المواد، إن استنتاجات ونتائج تطبيق المنهج العلمي ملزمة لكل من يفهمه. يمكنه بالفعل أن يكذب ويقول إنه توصل إلى نتيجة مختلفة، لكنه لن يتمكن من إقناع نفسه بأن استنتاجه لا يحتاج إلى علمه. فإن نفس الاستنتاج الناتج عن البحث العلمي صحيح ويصح بالنسبة له، كما هو الحال بالنسبة لأي شخص آخر ولن تجعله يهرب من هذه الغرفة. وعلى أية حال فإنك تقطع أي إمكانية للاتصال، ولا داعي للقول عن التأثير بين العلم والقيم. للقيم معنى رائع: فالقيم ليست تصوراً معيناً للواقع، ربما يمكن القول أن القيم هي من تلك الأشياء التي ليس لها أساس في الواقع. فهو محايد ولا قيمة له. وإذا لم يكن هناك خيار في هذا الأمر، فهذا هو الأمر ويجب على كل إنسان أن يأكل ويشرب، ويمكنه أيضاً أن يكون معتوهاً. ولذلك فإن قراره بأن يكون شخصاً محترماً يعود إلى الميدان القيم. القيم هي واحدة من تلك الأشياء التي ليست هناك حاجة إليها. على الرغم من أنه ليس كل ما هو غير مطلوب له قيمة؛ وليس من السهل تحديد أين وفي أي نقطة تصبح الأشياء غير المطلوبة قيماً. ولعل من الممكن القول بأن الأشياء التي لا حاجة إليها بالمعنى الموضوعي هي قيم، المعبر عنه في احتياجات أكثر تحديداً، وبين القيم هناك تناقض حاد. فإذا قيل مثلاً إن الوطن دقيق: حب الوطن قيمة، من المؤكد أن حب الوطن ليس ضرورة مفروضة على الإنسان: فمن الممكن أن يخون الإنسان وطنه، وفي كل الأحوال يمكنه بالتأكيد أن يكون غير مبالٍ بوطنه. الشخص الذي لا يبالي بوطنه هو وطني. على سبيل المثال، على استعداد للموافقة على خفض مستوى معيشته لصالح بلاده، ولا داعي للقول ما إذا كان كذلك على استعداد للتضحية بحياته من أجل وطنه، فهذا يثبت أن حب الوطن قيمة بالنسبة له. ولا تعتمد نتائج واستنتاجات الممارسة العلمية والمنهج العلمي على طبيعة الشخص الذي يستخدم هذا الأسلوب، إذا كانت طبيعته محددة بطبيعة التعليم والعلاقات الاجتماعية والمعتقدات والآمال والتطلعات وهذا المعنى الذي لا يعتمد على استخدام الشخص له، ولا شيء معطى له غرض، فقط الأشياء التي لا تُعطى، هذه هي الميزة الرائعة، ولا تعتمد على إرادة وصفات وشخصية الشخص الذي يستخدمه وتأتي هذه الميزة الرائعة لأننا لا ندفع الضريبة الموضوعية في العلم. ويمكن حتى استخدام هذه القاعدة كمعيار لمعرفة الطابع العلمي لمنطقة معينة. إذا سمعت شيئاً يقال أو يكتب أو يعلن هل هو علمي أم غير علمي؟ المقياس هو هذا: يمكنني أن أسأل نفسي: إذا كان في مكان هذا الشخص، الذي ولد في بيئة كذا وكذا، والذي نشأ بطريقة كذا وله سيرة كذا وكذا، وبنفس الطريقة، سنطرح سؤالاً بسيطاً للغاية: ما لون الخريطة الموجودة على الطاولة؟ ربما قيل لنا جميعاً أنها كانت خضراء. السبب الأول لشكوكي هو أن من حقي أن أخشى أن يكون كل شيء كذباً، وأعتقد أن هذا ينبغي أن يكون موقف كل عاقل من كل ما يصل إلى أذنيه. ما زلت أتخيل الخوف من أنهم جميعاً مصابون بعمى الألوان، الذين لا يميزون بين الأخضر والأحمر. وما زال يحق لي أن أخشى أن يرى المجانين أمامي هلوسات. ولا ينبغي لنا أن نفرق بينهما؟ ما دام ذكاؤه ليس باطلاً. ويمكنني أن أسأل: ما الذي يجعل الشيء يبدو له لون معين، وهو في هذه الحالة اللون الأخضر؟ وهنا الجواب لا لبس فيه: إنه تردد الضوء المنعكس من هذا الشيء ويصل إلى عيني. يمكن قياس تردد موجات الضوء. حتى الشخص المصاب بعمى الألوان يمكنه فعل ذلك. قد أكون أهلوس أنه أحمر، لا يمكننا أن نكذب، لأن كل شخص يستخدم الطريقة العلمية في القياس سيثبت الكذبة. قد نصل إلى نزاع جدي، لماذا لا نستطيع حل السؤال من خلال البحث العلمي؟ لأن هذا السؤال لا يمكن ترجمته إلى سؤال يستهدف السبب الفاعل، ولا ينطبق هنا المنهج العلمي. شيء لست كذلك وحقيقة أن الواقع الرائع يمكن التحقيق فيه عن طريق العلم كفر لا زيادة فيه ولا نقصان. سواء أمرنا به أو استثنينا منه، قبل عصر العلم، وسيستمر الآخرون في صراعهم معهم إلى الأبد. واستنتاجاتنا في مجال القيم والأيدولوجية، وبالمثل، أو أن العلم، الحقيقة كفاءة قيمة لا تدخل مجال العلم على الإطلاق. في العلاقة بين الإنسان وصديقه، الحقيقة ليست مجبرة، يمكنني أن أكذب على صديقي، وأحسبه، وأسرق عقله. في المسعى العلمي، لا أستطيع حل أي مشكلة علمية بطريقة غير صحيحة. لا أستطيع حتى أن أكذب عن قصد، وفي سياق ذلك المثل عن لون الخريطة، لأنه سيتم إثبات كذبي. وإذا قال أن الخريطة حمراء، فيمكنه أن يثبت لي أن الطول الموجي هو 5100 وليس 6500 وبالتالي أنا مخطئ أو كاذب. ومع ذلك، إذا قلت خلافاً لمعرفتي بالأنجستروم، فلا يمكن لأحد أن يثبت لي أنني أكذب، حيث تُفرض عليّ الحقيقة، لا يوجد تعليم للحقيقة كفاءة قيمة. في العلم أعرف الحقيقة حتى رغماً عني، يجب على الإنسان أن يعرف الحقيقة ويستطيع أن يتجاهلها. ولا علاقة للسعي العلمي بمفهوم القيم الحقيقية، ومحاولة إقحام

الحقيقة في كثير من الأحيان يتم تقديم الطلب الصادق والمفهوم للغاية، وما إلى ذلك. وأكرر: كل سؤال علمي سيكون بمثابة العلم الذي يتظاهر به العلم وأنا أشاركه هذا التظاهر بأنني قادر على الإجابة عليه، وبقيّة العلوم كلها لها وجود ومضمون في ذاتها،